دولة المرابطين وترجمة موجزة ليوسف بن تاشفين رحمه الله تعالى

تأسست هذه الدولة في المغرب الأقصى سنة 453هـ بزعامة يوسف بن تاشفين اللمتوني 1 (نسبة إلى قبيلة لمتونة البربرية) وكان رجالها يشدون اللثام (النقاب) على وجوههم فعرفوا بالملثمين. وقد لبى يوسف بن تاشفين دعوة المعتمد بن عباد ملك إشبيلية , ليصد عنه عدوان ألفونسو السادس ملك قشتالة 2) فاجتاز البحر إلى الأندلس سنة 479هـ على رأس جيوش من البربر وتمكن من هزم الملك الإسباني في وقعة شهيرة جرت في سهل (الزلاقة).
وخضعت بعدها دويلات طوائف الملوك لسلطان المرابطين.
وبعد وفاة يوسف بن تاشفين سنة (500هـ) خلفه ملوك من أبنائه فيهم المنصرف إلى لهوه وفيهم الفتى الماجن وفيهم الحدث 3) القاصر, ولم يخل الأمر من نزاع بينهم فأخذت الدولة في الانهيار وطمع بها الموحدون فاستولوا عليها سنة 541هـ في عهد آخر ملوكها إسحاق بن علي بن تاشفين حفيد يوسف بن تاشفين .

---

1) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقنت المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري . أبو يعقوب . أمير المسلمين

وملك الملثمين ، سلطان المغرب الأقصى ، وباني مدينة (مراكش) ، وأول من دعي بأمير المسلمين . أمه لمتونية حرة اسمها فاطمة بنت سير بن يحيى . ولد في صحراء المغرب ، ولما شب ولاه عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني إمارة البربر ، وبايعه أشياخ المرابطين وجال جولة في المغرب بجيش كبير فقوي أمره واستولى على فاس وغزا المغرب الأوسط (الجزائر) والأدنى (تونس) وأنشأ إمبراطورية مغربية تمتد فيما بين تونس والمحيط الأطلسي . وما بين البحر المتوسط وحدود السودان . دخل الأندلس لنصرة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ، وظفر في موقعة (الزلاقة) على جيوش قشتالة وليون التي كان يقودها الملك ألفونسو السادس سنة 479 هـ ، وقد أبيد في هذه الموقعة الحاسمة جيش ألفونسو ولم ينج ألفونسو نفسه ، إلا بشق الأنفس . واسترد المسلمون بهذه الوقعة مدينة (بلنسية) وعادت إليهم السيادة على الجزيرة الخضراء . وقد وصف المعتمد بن عباد هذه الوقعة التي شارك فيها ، وتسمى (يوم عروبة) بقصيدة يقول فيها مخاطبا ابن تاشفين:

ويــوم العروبــة ذدت العـدا *** نصـرت الهـدى وأبيـت الفـرارا

ثبـت هنـاك , إن القلـوب بيـن *** الضلـــوع لتـــأبى القـــرارا

ولـولاك يـا يوسـف المتقـي *** راينـــا الجزيرة للكفـر دارا

رأينـــا السـيوف ضحـى كـالنجوم *** وكـــالليل ذاك الغبـار المثـارا

فللـــه درك فـــي هولـــة *** لقـد زاد بأسـك فيـه اشـتهارا

تزيـد اجـتراء إذا مـا الرمـاح *** عنـــد التنـــاجز زدن اشـتجارا

كـــأنك تحســبها نرجســـا *** تديـر الذمـاء عليهـا عقـارا

تـريك الرمـاح القـدود انثنـاء *** وتجـلو الصفـائح الخـدود أحـمرارا

إذا نـــار حـــربك ضرمتهـــا *** حسـبنا الأسـنة فيهـا شـرارا

سـتلقى فعـالك يـوم الحسـاب *** تنـثر بالمسـك منـك انتثـارا

وللشـــهداء ثنـــاء عليـك *** بحســن مقــامك ذاك النهــارا

وأنهـــم يستبشـــرون *** ألا تخـــاف وألا تضـــارا

وبعد انتهاء تلك الموقعة بايع ابن تاشفين ملوك الأندلس وأمراؤها ، وسلموا عليه بأمير المسلمين ، وكان يدعي بالأمير ، وقد أراد بعض أشياخ المرابطين أن يحملوه على اتخاذ سمة الخلافة فأبى واكتفى بلقب أمير المسلمين . وبعد أن ملك الأندلس أرسل إلى الخليفة المستظهر بالله العباسي سفيرين وهما عبد الله بن محمد بن العربي المعافري الإشبيلي وولده القاضي أبا بكر بن العربي ، وحملهما هدايا إلى الخليفة وكتابا بما فتح الله عليه وطلب تقليده الولاية ، فبعث إليه الخليفة بمرسوم الولاية ، فانضوى تحت لواء

الخلافة العباسية ، وذكر في السكة التي ضربها اسم الخليفة العباسي . عاد إلى مراكش بعد وقعة الزلاقة فقد بلغه وفاة ابنه أبي بكر وكان قد أنابه عنه ، ولم يلبث في مراكش إلا زمنا قليلا أعد خلاله جيشا كبيرا وكان في عزمه أن يستولي على الأندلس ويقضي على دول الطوائف لما عاين من تفكك الروابط بينهم ، وتربص كل منهم بالآخر يريد أن ينقض عليه مستعيا بملوك النصارى وأمرائهم . وفي سنة 481 هـ اجتاز ابن تاشفين البحر إلى الأندلس للمرة الثانية فاستولى على غرناطة ومالقة وقبض على أميريهما وهما عبد الله بن بلقين بن باديس ، أمير غرناطة وأخاه تميما أمير مالقة ، وأرسلهما إلى أفريقية ليسجنا في قلعة أغمات . وعاد ابن تاشفين بعد ذلك إلى مراكش وخلف الجيش الذي قدم به إلى الأندلس وولى قائده سير بن أبي بكر قيادته . وقد تقسم الجيش إلى أربع فرق ، كل فرقة تحت إمرة قائد خاص بها لتقاتل أمراء الطوائف وتنهي حكمهم ، وتقرر أن تضرب الضربة الأولى على أقواهم وأشدهم بأسا وهو المعتمد بن عباد أمير إشبيلية وما ضمت إمارته من مدن قرمونة واستجة وقرطبة ومرسية وبلنسية فيفضي سقوطها إلى سقوط الآخرين . وسارت الفرقة الأولى نحو إشبيلية ، ولما علم المعتمد بذلك استنجد بالأمير القشتالي الكونت (جومز) فجاء على رأس جيش قرطبة

فكان الفوز لجيش المرابطين ، ولم يجد المعتمد بدأ من الاستسلام فاستسلم وسلم المدينة إلى إبراهيم ابن إسحاق قائد جيش المرابطين ، وسيق المعتمد مع نسائه وأبنائه في سفينة أعدت في نهر تاجا ، ونقلوا إلى أغمات بإفريقية وسجنوا في قلعتها (راجع ترجمة المعتمد المتوفي سنة 488 هـ) . أما فرق الجيش الأخرى فقد استولت على بقية الإمارات وأنهت حكم دولها وبذلك انقضى عهد ملوك الطوائف . ولما تم الاستيلاء على أسبانيا الإسلامية على يد المرابطين اجتاز ابن تاشفين البحر إلى الأندلس للمرة الثالثة سنة 496 هـ (1103م) لكي يعني بتنظيم شئونها وصحب معه ابنه عليا . وفي قرطبة دعا ابن تاشفين القادة والولاة وزعماء القبائل المغربية إلى اجتماع أعلن فيه توليته العهد إلى ابنه علي وكتبت بذلك وثيقة أشهد عليها المجتمعين فبايعوا عليا ، وعاد ابن تاشفين إلى مراكش وخلف ابنه عليا في الأندلس وولاه حاكما عليها ، وقد أمضى ابن تاشفين السنين الباقية من حياته في قصره بمراكش ، وقد تقدمت به السن وأضعفته الشيخوخة فتوفي في المحرم سنة 500 هـ عن عمر يقارب المائة سنة بعد حياة طويلة وحكم حافل بجلائل الأعمال . المراجع

وفيات الأعيان 365/2 . ابن الأثير 216/9 ، 145/10 .

الإحاطة في أخبار غرناطة 83/2 . العبر 304/3 . النجوم

الزاهرة 195/5 . البيان المغرب 18/4 - 30 . الاستقصا 22/2 وما بعدها . شذرات الذهب 3 / 4 12 . الأعلام 294/9 . تراجم إسلامية ص/200 وما بعدها . المغرب الكبير 96/2 . تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ص/82 وما بعدها . تاريخ الأدب العربي لفروخ 33/5 . تاريخ الفكر الأندلسي ص/18 . 120 . 123 . . مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ص/107

---

2) قشتالة castilla

هي الهضبة التي تشكل المركز والقلب في شبه جزيرة إيبريا، وتشمل ثلثي مساحتها، وهي هضبة جافة تقع بين مدريد عاصمة إسبانيا ومدينة طليطلة. وقد أصبحت قشتالة في القرن التاسع للميلاد إمارة نصرانية، عاصمتها مدينة (navar) ، ثم انضمت إلى نافار(burgos (برغش وفي عام 1469م تزوجت leon)وضمت إليها (ليون)(إيزابللا) أميرة قشتالة بفرديناند الثاني ملك (أراجون ، فاتحدت إمارات قشتالة وأراجون وليون في aragon دولة واحدة، وتم هذا الاتحاد عام 1479م

---

3) حصن يقع شمالي مرعش ويقوم على جبل يقال له (الأحيدب) ويقع على الدرب الذي يحمي ثغور الجزيرة ويعرف بدرب الحدث وقد تناوب المسلمون والروم الاستيلاء عليه غير مرة .

موضوعات التاريخ الإسلامي

الدول المستقلة

دول الأندلس وإفريقية